مرافق الحج والخدمات المدنية للحجاج في الأراضي المقدسة

عرض الأستاذ ناصر بن عبدالله الغالي

يتناول الكتاب المرافق والخدمات المدنية التي قدمت للحجاج في الأراضي الإسلامية المقدسة منذ السنة الثامنة من الهجرة وحتى سقوط الخلافة العباسية.

وقد صدر الكتاب هذه الأيام ضمن مطبوعات دارة الملك عبد العزيز، ويحتل الرقم ثمانية وثلاثين في هذه السلسلة ومؤلفة الدكتور سليمان عبد الغني مالكي أحد أعضاء هيئة التدريس بجامعة أم القرى.

وهذه الدراسة التي تقع في مائة وأربع وسبعين صفحة من الحجم المتوسط، دراسة تاريخية وصفية، تناولت بشيء من التفصيل، تلك الخدمات التي قدمت للحجاج، في كل من مكة والمدينة. وترجع أهمية دراسة الخدمات التي قدمت للحجاج، إلى أن حصر تلك الخدمات، ومعرفة أنواعها، ووسائلها، وتطورها، والتغير الذي حدث لها من زمن لآخر، يعطينا فكرة واضحة موثقة، عن الاهتمام الذي تحظى به تلك الأماكن، من حكام المسلمين في كل مكان، وذلك لما لها من أهمية في نفوس المسلمين عموماً. وعندما يخرج القارىء بعد قراءته الكتاب بمعرفة هذه الخدمات، سيدرك مدى ضخامة ما يقدم للحرمين الشريفين من خدمات، وتوسعة، واهتمام بالغ .. وما يقدم لكل زائر لهذه الأماكن من جهد واضح، وخدمته والسهر على راحته حتى يتسنى له العبادة في جو آمن يعبق بشذا الأمن والرخاء..

واستطاع الكاتب أن يجمع شتات مادته من أوعية العلم المختلفة، من مصادر خطية، وأخرى مطبوعة بلغت الخمسين مصدراً، ومراجع حديثة، عربية، وأجنبية، وعدد من الدوريات العلمية، والمجلات.

وقسم المؤلف كتابه إلى **مقدمة، وأربعة فصول**:

وقد بينت **المقدمة أهمية** دراسة هذه الخدمات، وسبب اختيار الكاتب لهذا الموضوع، حيث أنه كان بعيداً عن أنظار الكتّاب ولم يتناولوه بالدراسة والبحث.

أما **الفصل الأول**: فقد درس مكة والمدينة قبل ظهور الإسلام، وتحدث عن جغرافية هاتين المدينتين وتاريخهما، وعن أهم الخدمات التي قدمت لهما في العصر الجاهلي، وتنظيمات قصي بن كلاب التي تمثلت في السقاية، والرفادة، والحجابة، ووضّح الدور الزراعي، والاقتصادي، الذي قامت به المدينة في العصر الجاهلي، وتحدث عن طرق التجارة، وتجارة المدينة الداخلية والخارجية.

والفصل الثاني: يعقده المؤلف للحديث عن مرافق الحج في مكة المكرمة، والمشاعر، وما قدم فيها للحجاج. من خدمات، كتوفير المياه أثناء موسم الحج، من الآبار والعيون، وتوفير الأطعمة، والمأكولات والسكن.

لذا اهتم الخلفاء، والأمراء، والتجار ببناء الدور، والأربطة الخاصة لسكن الغرباء، والمنقطعين والحجاج. يلي **ذلك الفصل الثالث**: ويشتمل على خدمات الحجاج ومرافق الحج في أمكنة المشاعر، ودور سكان مكة في توفير الإقامة للحجاج بها فترة أداء نسك الحج.

كما تحدث المؤلف في هذا الفصل عن أعطيات الخلفاء لولاة مكة، والأحداث السياسية التي وقعت في مكة، وفي أمكنة المشاعر، والتي كانت صدى للتنافس بين خلفاء العباسيين، والفاطميين، ومن بعدهم سلاطين الأيوبيين، وسلاطين الرسوليين على سيادة الأماكن المقدسة، وعلى إخضاع أشراف مكة لسلطانهم.

كما يلي ذلك **الفصل الرابع والأخير** والذي عقده المؤلف للحديث عن خدمات الحجاج في المدينة المنورة.

وقد بدأ هذا الفصل بالحديث عن الطريق من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة وما أقيم فيه من خدمات للحجاج.

وعن المياه في المدينة ومدى عناية الخلفاء بالعيون، والآبار التي تتوفر بها .. وعن الدور والأربطة التي كانت تنشأ لزوار المدينة المنورة.

كما تعرَّض أيضاً لدور الأعطيات التي كان يقوم الخلفاء بإرسالها إلى ولاة المدينة، وسكانها فقد حرص خلفاء الدولة الأموية، وخلفاء الدولة العباسية، وخلفاء الدولة الفاطمية، وغيرهم من سلاطين الأيوبيين، ثم الرسوليين، على رعاية أهلها، وكسب أمرائها، وتقديم الأعطيات لهم، لتثبيت نفوذهم السياسي في العالم الإسلامي.

وهذا الكتاب الذي صدر حديثاً يتميز بمميزات عدَّة منها:

- إنه حَصَرَ تلك الخدمات وقصر دراسته عليها.
- وصفه لتاريخ وجغرافية، مكة والمدينة، وذلك لبيان ما لهذه الخدمات من أهمية.
- دراسة لتنظيمات قصي بن كلاب، وذلك لترتيب الموضوع بشكل منطقي، ومعرفة تسلسلها التاريخي.
- بيان ما حصل في هذه الديار من أحداث، وما حل بها من دمار، بسبب السيول الجارفة، وذلك لكي يعرف القارىء مدى حاجة الحجاج لهذه الخدمات.
- التقصي الجيد للمعلومات، وتحري صدقها، وذلك بالرجوع إلى كثير من المصادر، والمراجع، حتى الأجنبية منها.

وأخيراً فإن الدراسة دراسة تاريخية وصفية، اعتمد فيها المؤلف على المصادر القديمة .. فخرج بهذه الدراسة التي بيَّنت ما قدم لحجاج بيت الله الحرام من خدمات .. وبيَّنت أهمية تلك الأماكن في نفوس المسلمين عامة على مرِّ الأمنة.

وهي دراسة مهمة ومفيدة للقارىء. إذ يخرج منها وهو على معرفة بتاريخ تلك الخدمات. ويعرف من أين وكيف بدأت؟ وإلى أي صورة وصلت في عصرنا الحاضر!

وفي عهد خادم الحرمين الشريفين حفظه الله، الذي أولاها جُلَّ عنايته بتوسعة الحرمين الشريفين، وأخذ على عاتقه خدمة الحجاج، والسهر على راحتهم، فشق لهم الطرق، وأفسح لهم الأرض، ورغب بذلك إلى رضاء الله، لا إلى ثناء الناس.

فوصلت في عهده حفظه الله، إلى الروعة في البنيان، والبراعة في الخدمة، والعمل بصمت.

وبعد فالدراسة ـ فيما أرى ـ دراسة جيدة، وجهد علمي مشكور..